



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

داعش على الحدود العراقية السورية: شبكات تهريب مزدهرة

هشام الهاشمي



ترجمة وتحرير مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليةٍ جليّةٍ لقضايا معقّدة تهمّ الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2020

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

داعش على الحدود العراقية السورية: شبكات تهريب مزدهرة

هشام الهاشمي *

في عام 2014، استولى تنظيم داعش على الموصل، وأعلن إنشاء الخلافة، وبينما تركزت جهود مكافحة الإرهاب بداية على مراكز الجماعة في الموصل والرقعة، إلا أن المناطق المجاورة للحدود العراقية السورية هي التي ستثبت أنها آخر معقل للتنظيم بعد الهزائم الكبيرة التي تلقاها. تمثل مناطق شرق سوريا بمنزلة نقطة عمق استراتيجي عندما نشأت داعش في أعقاب سقوط نظام صدام. وكانت المنطقة تمثل نقطة انطلاق لعودة الجماعة في أواخر العقد الأول من القرن الحادي والعشرين وأوائل عام 2010، وفي العامين 2013-2014 سمحت هذه المناطق للتنظيم بتحويل العراق وسوريا إلى ساحة معركة فريدة.

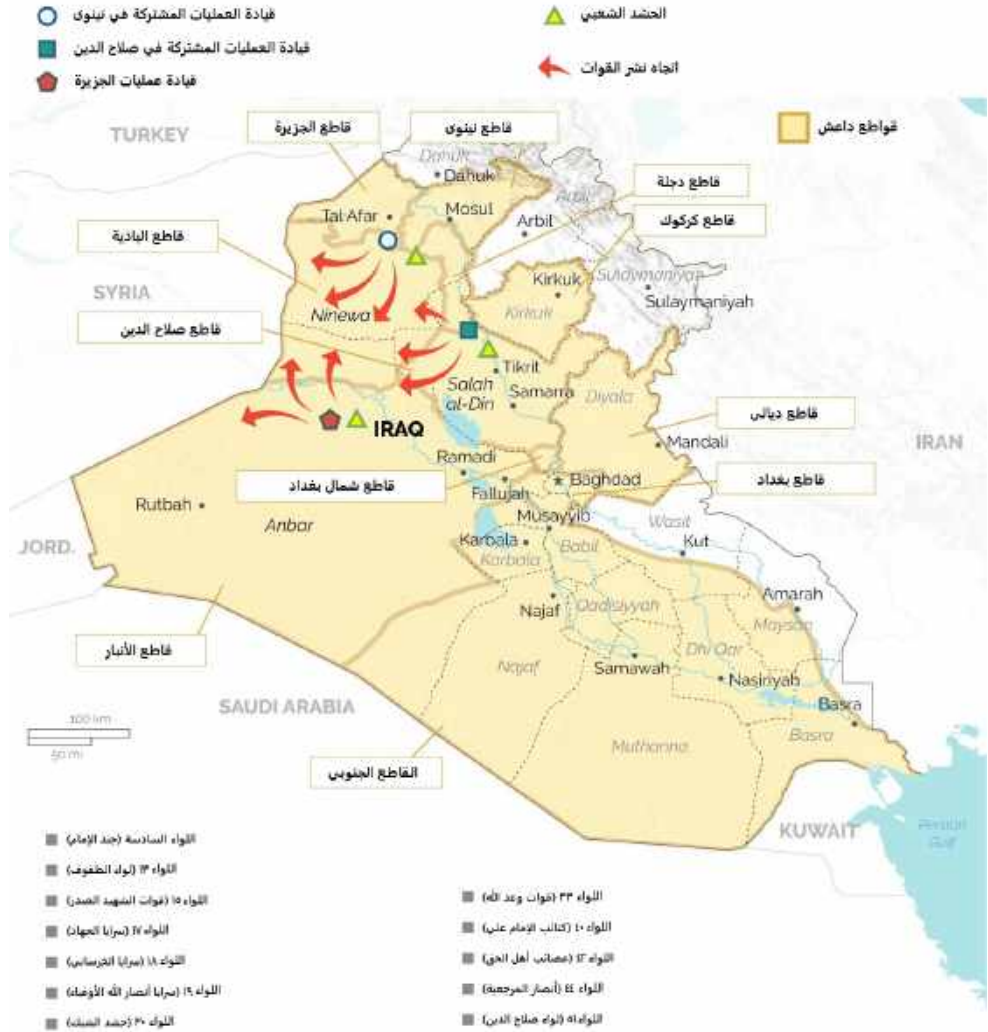
واليوم، توفر هذه الحدود الظروف التي يحتاجها داعش للبقاء واستعادة قدراته. يجب أن تركز أي استراتيجية لتحقيق الهزيمة المستمرة لداعش على إنهاء الملاذ الآمن على جانبي الحدود السورية العراقية، ومعالجة العوامل التي تساعد في بقاء التنظيم، بما في ذلك التماسك الاجتماعي، والفرص الاقتصادية، والأمن، والثقة في الحكومة. في الوقت الحالي، لا يوجد أي نظام يستطيع أن يفعل ذلك في سوريا، أما في العراق، فهناك خطوات ملموسة يمكن للسلطات اتخاذها لتقويض قاعدة دعم الجماعة وعناصر التمكين في المنطقة.

الظروف المواتية

كانت الصورة الرمزية التي رافقت إعلان الخلافة هي تدمير القواعد العسكرية وقوات الشرطة، وكذلك الحواجز الرملية التي شكلت الحدود العراقية السورية في مادة فيديو دعائية لداعش بعنوان «إزالة الحواجز». العملية، التي كانت ترمز إلى تقديم فكرة الخلافة بلا حدود، دفعت الجهاديين من جميع أنحاء العالم إلى التدفق إلى العراق وسوريا للانضمام إلى التنظيم.

* زميل غير مقيم بمركز السياسة العالمية (PGC)، باحث في الشؤون الأمنية والاستراتيجية والجماعات المتطرفة.

اتجاه تحركات الحشد الشعبي والمليشيات في العراق



© 2020, Center for Global Policy

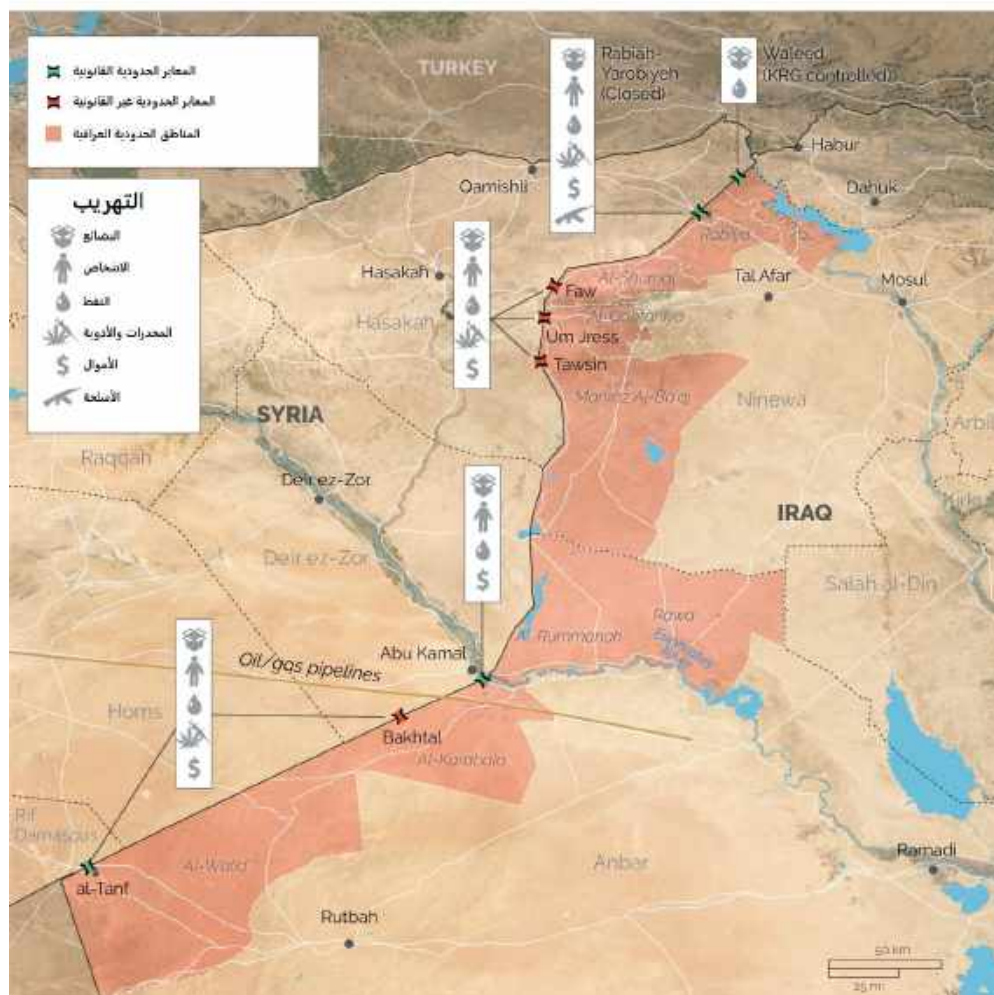
وأظهر فيديو شهر أيار عام 2014 أبا محمد العدناني -الذي كان المتحدث الرسمي باسم الجماعة- قبل مقتله في آب عام 2016 في حلب. وأعلن العدناني في الفيديو: «بعد إزالة الحواجز بين سوريا والعراق، فإن الخطوة التالية بالتأكيد هي الإعلان عن إعادة الخلافة الإسلامية». تم تأكيد الإعلان في ترنيم «الأيدي الممتدة للتعهد بالولاء للإمام»، في إشارة إلى زعيم داعش آنذاك أبي بكر البغدادي، الذي نشرته مؤسسة أجناد الإعلامية. وكرر داعش الفكرة في إنتاج الفيديو باللغة الإنجليزية بعنوان: «نهاية سايكس بيكو».

ساعد الاقتتال الداخلي بين المتطرفين، والانقسامات على أسس عرقية وقبلية، والانقسامات الاجتماعية، والقبول الواسع لفكرة إزالة الحدود بين الجماعات الدينية على قدرة داعش السيطرة على المنطقة الحدودية السورية العراقية. وعلى الجانب العراقي، سيطر التنظيم على 610 كيلومترات من الحدود من الأنبار إلى نينوى من عام 2014 إلى عام 2017. وعلى الجانب السوري، سيطر التنظيم على مناطق من جنوب القامشلي إلى التنف من عام 2012 إلى عام 2019.

في حزيران عام 2014، أسس داعش ولاية الفرات، التي جمعت بين مدينتي البوكمال وهجين الحدودية في سوريا والقائم في العراق. ثم في آذار عام 20 وآب 15، أنشأت المجموعة ولاية الجزيرة -التي تتكون من سنجار، وزمار، وتلعفر، وتل عبطة، والحمدانية، والقيروان، والعياضية، والبعاج- كجزء من استراتيجيته للحفاظ على العمليات تحت قيادة محلية واحدة على الأراضي المتجاورة. وتعد هذه المناطق أيضاً معاقلاً قديمة للجماعات الجهادية والمهريين.

كانت المنطقة الحدودية حاسمة للعمليات المالية والعسكرية لداعش، إذ تعد ممراً لجميع وسائل النقل العسكرية والتجارية، وبعض المناطق غنية بزراعة الكثير من الحبوب والقمح والقنب. وهناك أيضاً صحاري شاسعة مع خنادق يمكن استخدامها ملاذاً آمناً للعمليات العسكرية والاحتياجات اللوجستية، فضلاً عن إنشاء معسكرات تدريب، وأيضاً تتمتع العشائر في المدن والقرى العراقية بعلاقات أسرية واقتصادية قوية مع العشائر على الجانب الشرقي من سوريا.

المعابر الحدودية الرئيسة بين العراق وسوريا



هناك ما يقدر بنحو 1000 قرية في غرب وجنوب غرب نينوى، وغرب صلاح الدين، وشمال غرب وغرب الأنبار، بما في ذلك أكثر من 400 قرية تم منع السكان السنة من العودة إليها لأسباب تشمل التوترات العرقية والطائفية والأمنية. تقع 50 قرية على الجانب العراقي على بعد 10 إلى 25 كيلومتراً داخل الأراضي العراقية. على الجانب السوري، هناك ما يقرب من 51 قرية

موزعة بين 2 و10 كيلومترات داخل الأراضي السورية. المعابر الحدودية الرسمية بين البلدين هي معبر الرابية في نينوى، ومعبر القائم والوليد في الأنبار.

كانت هذه المنطقة الحدودية أساسية لقادة داعش، وبحسب ما ورد تردد البغدادي على هذه المناطق الحدودية للقاء نوابه في تلك المدن، وأعلن العدناني عن «إزالة الحواجز» من هذه المنطقة، وأيضاً أعتقل العديد من قادة داعش الآخرين في هذه المنطقة وقتل الكثير منهم.

ونظراً لضعف السيطرة على الحدود على الجانبين، وغياب -أو ضعف- الحواجز الحدودية، ووجود الأنفاق، وشبكات التهريب، فإن معظم المناطق الحدودية خارج سيطرة الدولة. ويشارك القرويون والعشائر والعصابات في أنشطة غير مشروعة في جميع أنحاء المنطقة، من شمال أم الجريس إلى جنوب فيشخابور في غرب نينوى.

وفما تنظم داعش في تلك المنطقة، وما يزال يستفيد من الظروف هناك. ويواصل مسؤولو المخابرات العراقية تحذيرهم من استخدام داعش وشبكات التهريب المحلية للممرات والطرق في العراق وسوريا. في عام 2020، نظم داعش هياكله المحلية في منطقتين للعمليات في الدولتين العراقية والسورية شملتا الجزيرة والأنبار -تمتد من سنجار إلى المثلث الذي تتقاطع فيه الحدود العراقية والسورية والأردنية- على الجانب العراقي، والفرات والحير من شمال الحسكة إلى التنف والصحراء السورية جنوب غرب الفرات على الجانب السوري. كانت إعادة التنظيم دليلاً آخر على أهمية تلك المنطقة للجماعة.

رأس المال البشري على طول الحدود

على وفق إرشيفات مكتب الأوقاف السني في العراق، يوجد أكثر من 2000 مسجد ومركز للصلاة في المنطقة الحدودية، منتشرة على مساحة 41000 إلى 43000 كيلومتر مربع؛ أي: ما يقرب من 10 % من أراضي العراق. وأكثر من 85 % ممن يديرون هذه المساجد ويترددون عليها هم من أتباع التيار السلفي، و5 % من أتباع الطوائف الصوفية التقليدية، و8 % يتبعون الإخوان المسلمين، والبقية تدار من قبل السنة.

يبلغ عدد سكان المناطق المتاخمة للحدود في العراق حوالي 800000 نسمة، ومن بين هؤلاء، هناك 500000 من الأيزيديين والأكراد، و300000 من العرب السنة.

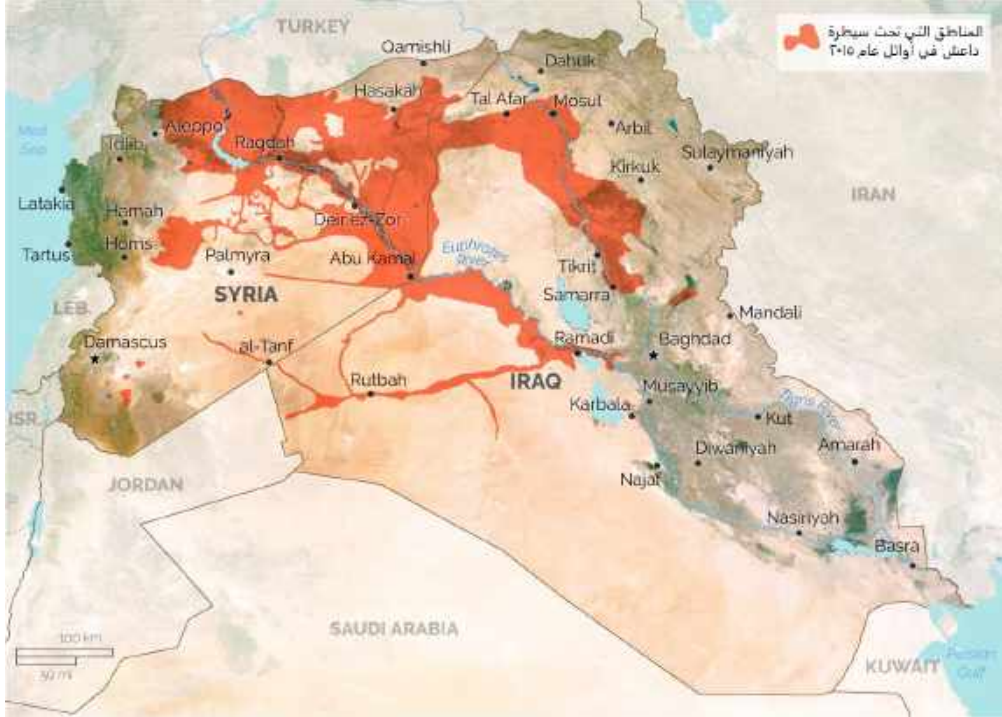
استفاد رجال الدين وأنصار داعش من انتشار المعتقدات السلفية للترويج للأفكار التكفيرية والدفع من أجل إحياء الخلافة، وشجعوا المشاعر المعادية للشيعة، وحشدوا الناس للترويج لها باستخدام مجموعة من 350 - 400 من الأئمة ورجال الدين. ونجح رجال الدين في تجنيد 8700 - 9000 عضو عملوا على قضايا مختلفة في مراكز داعش في تلك المناطق، على وفق وثائق عثرت عليها قوات التحالف في قرية الصكار في قضاء البعاج بعد تحرير المنطقة في آب عام 2017.

يظهر بحث المؤلف في تلك المناطق أن معظم الجماعات الجهادية المسلحة -بما في ذلك داعش- ركزت في تجنيد أعضاء من كل عشيرة وتحويلهم إلى مبشرين وقادة في المستويات العليا والمتوسطة، ثم استخدمهم داعش كبطاقة ضغط ضد سكان تلك المدن والبلدات والقرى. كان أقوى أعضاء داعش هم الذين يتمتعون بمكانة ونفوذ في تلك المناطق؛ مما أدى إلى القضاء تدريجياً على دور رجال الدين المعتدلين.

يمكن عدُّ هذه المناطق المخزون الاستراتيجي لرأس المال البشري لداعش، ففي ذروة توسع داعش في العراق وسوريا في عام 2014، كان لدى التنظيم ما يقرب من 32000 عضو قتالي ولوجستي ومدني. وفرت تلك المناطق الحدودية 25 % من رأس المال البشري لداعش، بما في ذلك المصلون، والمؤيدون، والعمال، والخدم.

المناطق التي كانت تحت سيطرة داعش عام ٢٠١٥

قبل خمس سنوات، سيطر تنظيم داعش على مساحات واسعة من الأراضي في العراق وسوريا، بما في ذلك الحزام الذي يمتد من سامراء في العراق إلى حلب في سوريا



الازدهار رغم الدعم القليل

على الرغم من أن تنظيم داعش لاقى دعماً كبيراً لأيديولوجيته، إلا أن العديد من السكان المحليين قاوموا تفسيراته المتطرفة للإسلام، وتكبدوا خسائر فادحة نتيجة لذلك. فبحسب السجلات الرسمية في نينوى والأنبار بين أيار عام 2014 وتشرين الثاني عام 2017، قتل مقاتلو داعش 3400، وجرح 10000، وشرّد 250000 شخص.

قدمت ثلاث شرائح من السكان في تلك المناطق الحدودية فرصاً لتنظيم داعش:

1. تبنت الشريحة الأولى المعتقدات الجهادية المشتركة التي يمكن عدّها جوهر تنظيم داعش الدائم. تبني أعضاء هذه الشريحة أيديولوجية التنظيم، وفرضها للخلافة، وقواعدها القاسية على

الجميع، ولا سيما العرب السنة، وكانوا مستعدين للموت من أجل الخلافة.

2. الشريحة الثانية التي لم تتبن أيديولوجية داعش، لكنها شاركتها مع المظالم، والأهداف السياسية المهمة التي تركز على تقويض النظام السياسي، والانتقام منه، ومحاربة قوات الأمن المحلية والوطنية. لا يمكن عدُّ هذه الشريحة نواة دائمة لداعش؛ لأن الناس هنا لم يؤمنوا بالخلافة، لكنهم ازداد دعمهم للتنظيم بزيادة مشاعر التهميش والتمييز على أيدي الدولة العراقية.

3. يمكن وصف الشريحة الثالثة بالانتهازيين الذين انضموا إلى داعش لأسباب براغماتية، بما في ذلك الأسباب المالية. ولا يمكن النظر إلى هذه المجموعة كقاعدة دعم بأي معنى؛ لأنه عندما تقوم الدولة العراقية بإيجاد الفرص الاقتصادية، سينهي الكثيرون في هذه الشريحة دعمهم لداعش.

لم يختر داعش منطقة الحدود العراقية السورية بسبب الدعم الشعبي، إذ فعل ذلك لإمكانية الاستفادة من الحرمان السياسي والاقتصادي الذي يعاني منه العرب السنة الذين تنفرهم كل من دمشق وبغداد، ونقص وجود الدولة، والأمن، والطبيعة الاجتماعية التي تساعد على التعاون، فضلاً عن التضاريس الصحراوية في المنطقة، وشبكات التهريب، وأنظمة الأنفاق، والموارد الزراعية الغنية؛ مما أعطى داعش تدفقاً مستمراً من المجندين، وساعد في تحقيق الاكتفاء الذاتي المالي.

الفراغ في المنطقة الحدودية بين العراق وسوريا

يزيد الصراع بين السلطات إنفاذ القانون وجماعات التهريب على الحدود، إلى جانب القتال بين تركيا وحزب العمال الكردستاني المعارض، الذي يسيطر على شمال ووسط سنجار، وغالباً ما تستهدفه القوات التركية وحلفاؤها السوريون، من ضعف المنطقة الحدودية.

ونتيجة لوجود معسكرات داعش، والتوتر المستمر على الجانب العراقي من الحدود، وعدم الاستقرار في الجانب السوري، فتواجه المنطقة تهديدات كبيرة. منذ نيسان عام 2019، استعدت خلايا تنظيم داعش في البادية (الصحراء السورية بالقرب من حمص)، والجزيرة (الصحراء العراقية بالقرب من الموصل)، وغرب نينوى للتحوّل من العمليات الإرهابية في المنطقة الحدودية إلى حوض معارك حول المدن والبلدات الحدودية. ومع ذلك، تؤكد التقارير الأمنية العراقية أن فلول تنظيم داعش ما يزالون قادرين على تهريب البضائع، والأفراد، والنفط، والأسلحة، والمخدرات عبر الحدود مع سوريا؛ مما يحقق أكثر من 100000 دولار يومياً من الإيرادات. ومما لا شك فيه أنه مع

تزايد الكساد الاقتصادي، والتهميش الاجتماعي بين سكان القرى الحدودية، وكذلك الاستياء من سيطرة القوات ذات الأغلبية الشيعية على الملف الأمني، فإن رغبة السكان في حماية الحدود ستقل، وقد يفكرون في العمل مع داعش.

وعلى وفق الاعترافات التي أدلى بها عناصر داعش الملقى القبض عليهم، فإن الأموال تساعد على تسهيل التسلل عبر الحدود العراقية السورية. في الأشهر التسعة الأولى من عام 2019، تحرك حوالي 1200 عضو من تنظيم داعش عبر الحدود في مجموعات صغيرة بمساعدة شبكات التهريب المحلية القائمة منذ مدة طويلة، وضباط الأمن الفاسدين، وقادة العشائر، وقد ساعد ذلك على توسيع شبكات تجنيد داعش داخل مخيم الهول. وسجلت المخابرات العراقية -من خلال مصادر داخل المخيم- ما بين 60 إلى 70 حالة في الشهر عن وجود أفراد تعهدوا بالولاء لتنظيم داعش، ما يصل إلى 959 رجلاً و 570 امرأة من جنسيات مختلفة.

وحدد ضباط المخابرات العراقية -بمساعدة قوات التحالف الدولي- المعسكرات المستخدمة لتدريب المقاتلين الذين عبروا الحدود إلى العراق، وكذلك مخابئ الأسلحة، والأنفاق التي تستخدمها خلايا داعش.

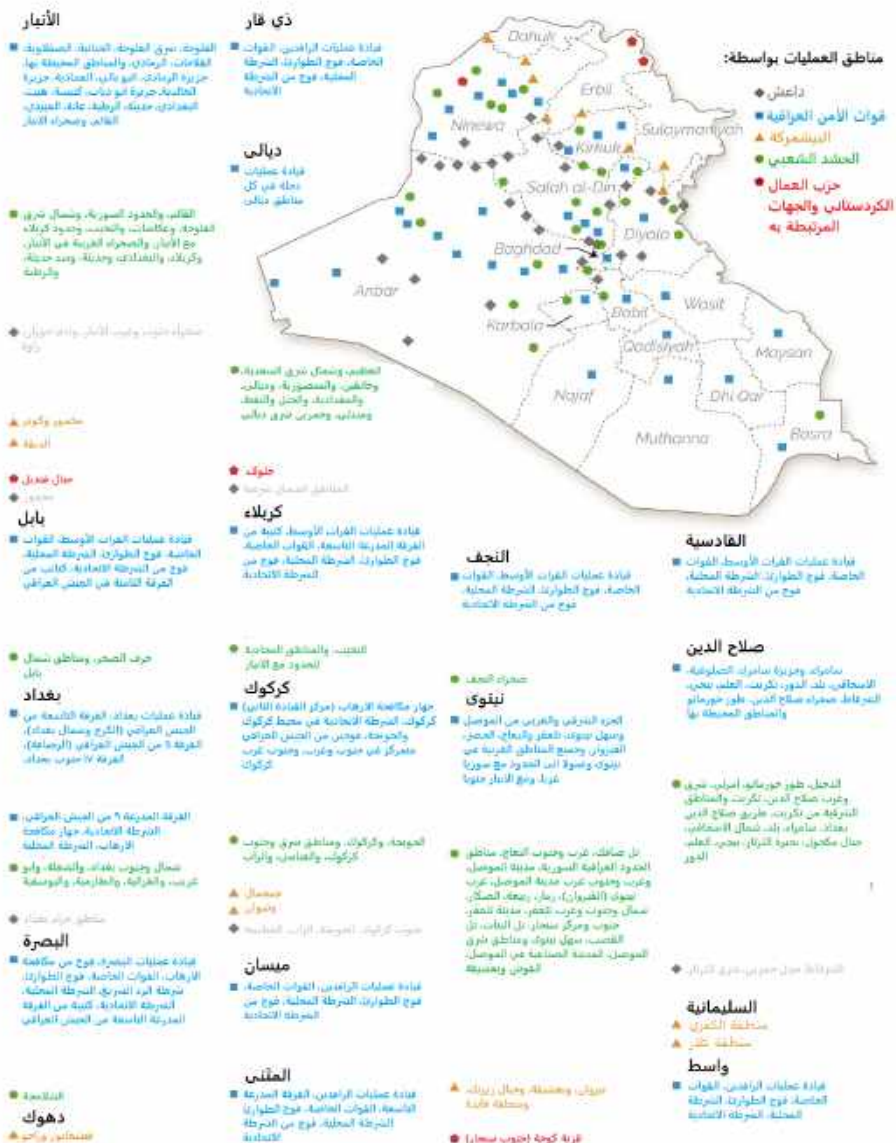
أعاد تنظيم داعش علاقاته مع السكان المحليين بالانخراط في أنشطة اقتصادية غير مشروعة، مع الجهات الناشئة الجديدة المشاركة في تهريب السلع، والاتجار غير المشروع في السجائر، والأدوية، والأسلحة، والنفط، والمخدرات، والآثار، والخردة المعدنية، والنحاس، والأسمنت، والمواد الغذائية، والإلكترونيات. وقد زاد هذا بعد فقدان القوات المسيطرة على الحدود والاستخبارات العراقية اتصالاتها داخل بعض شبكات التهريب في البلدات الحدودية؛ بسبب العداء الناتج عن عمليات التحرير ومنع عودة النازحين.

تأتي هجمات داعش من القرى والمناطق المهجورة بين المناطق التي تسيطر عليها البيشمركة والمناطق التي تسيطر عليها قوات الأمن العراقية، التي تشمل مساحات مفتوحة من الأراضي التي لا تُقَتَش أو تُراقب عن كثب. في هذه المناطق، يقلل التدهور المستمر في القدرات اللوجستية للقوات الماسكة للأرض من القدرة على السيطرة على المنطقة الحدودية وفرض سيادة القانون. حينما تكون قوات الأمن غير قادرة على توفير الأمن، يمكن لأي قوة مسلحة أن تملأ الفراغ، لذلك أصبحت الجماعات المسلحة أكثر فعالية وتأثيراً، ولا سيما فيما يتعلق بالتهريب عبر الحدود.

وتزود العائدات التي يحصل عليها داعش من عمليات التهريب غير الحدود المجموعة بالأموال اللازمة لتنفيذ هجمات إرهابية، والحصول على الأسلحة، والطعام، والأدوية، والمركبات، وأي شيء آخر مطلوب من أجل البقاء ومواصلة النشاط، وكذلك للتجنيد للحصول على الدعم. وانتهج التنظيم استراتيجية استنزاف الناس مالياً في المناطق الريفية على مشارف المحافظات العراقية المحررة عن طريق حرق المحاصيل الزراعية وفرض الضرائب على المزارعين والرعاة.

شاهد الخريطة - القائمة - كل - قائمة - القائمة

1. The first step in the process is to identify the problem or issue that needs to be addressed. This involves gathering information and understanding the context of the problem.



التوصيات

وتتمثل أحد أفضل التدابير لوقف الهجمات التي تشنها فلول داعش في تحقيق العدالة الاجتماعية، وإيجاد حلٍّ لقضية النازحين، وإغلاق مخيمات النزوح، وضمان المساواة في المعاملة مع الجهات الإقليمية والقبلية، التي تمثل المفتاح لكسر هذه الحلقة المفرغة؛ لأن السكان المحليين قوى فاعلة ضد داعش إذا ما استثمرت الحكومة العراقية فيهم وتوقفت عن تهميشهم.

يمكن للسكان المحليين أن يولدوا الدعم الرافض داعش، ولكن إذا ما هُمشوا، فيمكن أن يؤثر ذلك على حالة انعدام الأمن، وزيادة عدم الاستقرار والاضطراب الناتج عن الهجمات والمعارك مع التنظيم.

ويمكن للسلطات العراقية اتخاذ عدد من الخطوات الملموسة لتقويض داعش ومصادر دعمه. إن وزارتي الداخلية والدفاع، وقوات البيشمركة، والحشد الشعبي، والعشائر مسؤولة عن وضع السياسات للسيطرة على الحدود مع سوريا، بما في ذلك:

1. تعزيز التنسيق بين نقاط الحدود، وإنشاء قيادة خاصة مسؤولة فقط عن الحدود مع سوريا.
2. توفير أنظمة متقدمة لمراقبة الحدود.
3. الاستفادة من التكنولوجيا غير التقليدية لمراقبة الحدود، مثل الطائرات من دون طيار.
4. تحسين الثقة بين قوات الأمن وسكان المدن والقرى الحدودية.
5. محاربة الفساد في المناطق الحدودية، وتخفيض الموظفين على رفض الرشاوى بمنحهم نسبة مئوية من الإيرادات المحققة من إيقاف عمليات التهريب الفاشلة.
6. الامتناع عن استنزاف قدرات قوات مكافحة الإرهاب والرد السريع في العمليات التي لا تتعلق بمكافحة الإرهاب، كما نصح التحالف الدولي.

المصدر:

<https://cgpolicy.org/articles/isis-on-the-iraqi-syrian-border-thriving-smuggling-networks>